

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الأربعون

◆ مسائل على الباب السابق

[قراءة المتن]

فيه مسائل

- الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات

[الشرح]: نعم مراد الشيخ - رحمه الله - من جحد بشيء من الأسماء والصفات فقد انتفى عنه الإيمان

[قراءة المتن]

- الثانية: تفسير آية الرعد

[الشرح]: نعم تفسير آية الرعد وهي قول الله - عز وجل - : (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) فتفسيرها إنكار ما كان عليه المشركون، والرد عليهم بقولهم هو ربي أي الرحمن الذي أنكرتم اسمه هو ربي هو الله (عليه توكلت وإليه متاب) نعم

[قراءة المتن]

- الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع

[الشرح]: وهذا يؤخذ من أثر على حدثوا الناس بما يعرفون هذا أمر يرجع إلى حكمة المتحدث، والملقي، والواعظ، والعالم بحيث لا يبادئ الناس بشيء يشق عليهم فهمه بل يحدثهم بقدر عقولهم ولا يدخلهم في عويص المسائل التي لا يستوعبونها بل يربهم بصغار العلم قبل كباره نعم

[قراءة المتن]

- الرابعة: ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر

[الشرح]: نعم وهذا هو ما علل به علي - رضي الله عنه - فانه قال: " أتريدون أن يكذب الله ورسوله " ولا شك أنه لا أحد من الوعاظ والمتحدثين والعلماء يريد ذلك لكن قد يقع منه ذلك من غير قصد فلو بادئ الناس بشيء يصعب عليهم فهمه لأفضى إلى تكذيب الله ورسوله فعليه أن يكون بصير بما يقول نعم

[قراءة المتن]

- الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيء من ذلك وأنه أهلكه

[الشرح]: ما الذي أهلكه؟ أهلكه رده لما بلغه من خبر الله وخبر رسوله ﷺ، وذلك أن الرجل لما سمع شيء من أحاديث الصفات انتفض، انتفض استنكاراً فابن عباس - رضي الله عنه - شخص حاله لأن هذا الصنف يعني يؤمنون أو يقبلون محكمه ويهلكون عند متشابهة فإن الواجب على مثل هؤلاء أن يردوا المتشابهة إلى المحكم وأن يظنوا بالله ظن الحق

الباب الذي يليه.....

[قراءة المتن].

باب

قول الله تعالى: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون)

قال مجاهد ما معناه هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي،

وقال عون بن عبد الله: يقولون لولا فلان لم يكن كذا،

وقال ابن قتيبة: يقولون هذا بشفاعة آلهتنا، وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى

قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) الحديث، وقد تقدم،

وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف هو كقولهم: (كانت الريح طيبة والملاح حاذقا) ونحو ذلك ممن هو جار على السنة كثير.

[الشرح]

نعم هذا الباب باب مهم ومفيد وتدعو الحاجة إليه وذلك لوقوع كثيرا من الناس في مثل هذه الألفاظ

◊ ومناسبة هذا الباب قول الله تعالى: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) لكتاب التوحيد

تتبع الألفاظ التي تجرى على الألسنة وتكون منافية للتوحيد وتكون منافية لكمال التوحيد وإن كان لا يراد بها الشرك لا يريد بها قائلها الشرك،

فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد تتبع الألفاظ التي تجري على ألسنة الناس وتكون منافية لكمال التوحيد دون أن يكون قائلها مريداً لذلك ويتضح هذا إن شاء الله تعالى بالأمثلة

◊ فقوله تعالى: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها):

من الذين يعرفون من فاعل يعرفون إلام يرجع الضمير؟: إلى المشركين

(يعرفون نعمة): المراد بذلك ما أنعم الله تعالى به من أصناف النعم، والنعم التي يعيشون فيها ممنوعة منها نعمة الصحة، ونعمة المال، ونعمة المسكن، ونعمة النعم، ونعمة السراويل هذا جاءت في سياق سورة أو في سياق سورة النحل التي ذكر الله تعالى فيها هذه النعم فأردفها بالقول (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)
وقيل إن النعمة المراد بها: هاهنا هي محمد - ﷺ - أن الله تعالى أنعم عليهم ببعثته فقد عرفوا صدقه ثم أنكروه،

قال مجاهد: وهو مجاهد ابن جبر المكي

ما معناه (هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي): هذا - أيها الإخوان - هو تفسير من تفسير الشيء بنوعه ومثاله فعد مجاهد - رحمه الله - قول الإنسان (هذا مالي ورثته عن آبائي) عد ذلك من نكران نعمة الله حيث لم يسند النعمة إلى مسديها وهو الله - عز وجل - فجعل هذا مالا متسلسلا إليه ولم يرعى فيه نعمة الله - سبحانه وتعالى - بإضافة النعمة إليه سبحانه وبحمده

وقال عون بن عبد الله:، وعون ابن عبد الله الهذلي ثقة عابد كان وفاته سنة مئة وعشرين للهجرة وقال عون ابن عبد الله: (لولا فلان لم يكن كذا) .

لولا فلان: إذا لولا حرف امتناع كما هو معلوم فعلق ذلك بفلان فكان فلان هو السبب في حصول المطلوب أو دفع المرهوب، وهذا أيضا فيه ما فيه من إسناد الفضل إلى غير مسديه وهو الله - سبحانه وتعالى -

وقال ابن قتيبة: وابن قتيبة هو عبد الله بن مسلم الدينوري حافظ أديب كما يوصف بأنه خطيب أهل السنة كما كان الجاحظ يوصف بأنه خطيب المعتزلة كان يوصف - رحمه الله - بأنه خطيب أهل السنة وله مؤلفات نافعة توفي سنة مائتين وست وسبعين للهجرة قال:

(يقولون هذا بشفاعة آلهتنا): يعني ما يحصل لهم من النعم المذكورة في سورة النحل يقولون هذا بشفاعة آلهتنا

إذا هذه التفاسير التي ذكرها المصنف - رحمه الله - عن هؤلاء السلف من مجاهد، وعون ابن عبد الله، وابن قتيبة كلها تدل على المراد بقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) بان إنكارها يكون بنسبتها إلى غير الله - عز وجل -

◆ فستفيد من هذه الآية فوائد من الآية وكذلك من تفسير من ذكر تفسيره:-

- أن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية لأن الله تعالى أثبت لهم المعرفة (يعرفون نعمة الله) فهم مقرون بتوحيد الربوبية ولكنهم يشركون بتوحيد العبادة ولذلك لم يكن في قلوبهم شكر المنعم ونسبة الفضل إليه

- ونستفيد ثانيا وجوب نسبة النعم إلى الله - عز وجل -، وهذا معشر الإخوان ينبغي إن لا يعزب عن خاطر المؤمن فكلمة تحدث بنعمة من النعم فأضفها إلى الله - سبحانه وتعالى - ولا تلحق بها السبب الظاهر من مخلوق وغيره

- وفيها طبعا نستفيد أيضا ضد ذلك وهو التحذير من نسبة النعم إلى غير الله - عز وجل - وأن ذلك شرك مناف للتوحيد

- ونستفيد أيضا التأدب مع الله - عز وجل - بالألفاظ

◆ وفيها رد على القائلون بالصدفة والطبيعة نحو ذلك:

- فإن قوم من الملاحدة ينسبون ما يجري من حوادث إلى الصدفة فيقولون بفعل الصدفة حصل كذا وهذا لا يحل اللهم إلا أن يقصد الإنسان بقوله صدفة أن هذا وقع اتفاقا على غير تخطيط مسبق منه لكن لو اعتقد أن الصدفة مؤثرة بطبعها وأن الأمور تقع خبط عشواء فإن هذا شرك في الربوبية وهو مذهب معروف مذهب الصدفيون القائلون بالصدفة فهذا شرك في الربوبية،

- وكذلك أيضا القائلون بالطبيعة فإن من الناس من ينسب التصرفات إلى الطبيعة ويقول الطبيعة أبدعت كذا وكذا أو غضبت الطبيعة ففعلت كذا وكذا فهذا أيضا شرك في الربوبية وهو مذهب الطبايعيين مذهب فلسفي معروف قديم وحديثا

فهذه الآية لاشك أنها تدل ابتداء على تحريم هذه الألفاظ التي لا تنسب النعم إلى الله - سبحانه وتعالى -

لكن فيما مر بنا من تفسير بعض السلف كقول عون ابن عبد الله يقولون لولا فلان لم يكن كذا حمل ذلك أنه لا يجوز بإطلاق أن يقول إنسان لولا فلان الواقع أن في هذا تفصيل يعني:

أن يقول الإنسان لولا فلان في هذا تفصيل فنقول:

- إن كان الحامل له على هذا الخبر المجرّد مجرد الخبر فلا بأس به إذا كان الحامل والباعث له على قول لولا فلان مجرد الخبر فقط فلا بأس به، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ سأله عمه العباس فقال إن عمك أبا طالب كان يحوطك فهل نفعته بشيء فقال وجدته في الدرك الأسفل من النار فأخرجته إلى ضحضاح من نار تحت قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار، تأمل قال "لولا أنا" هذا خرج مخرج الخبر المجرّد فلا بأس به فإذا صدرت من القائل على سبيل الخبر وحسب فلا بأس بذلك

- طيب الحال الثانية إذا أراد بها السببية إذا قصد بها السببية لا مجرد الخبر فلها ثلاث حالات:-

(١) الحال الأولى: أن يكون سببا خفيا غير متعقل، ولا مدرك لا تأثير له إطلاقا فهذا شرك أكبر كأن يقول مثلا لولا الولي فلان و إلا ما مطرنا، لولا وجود مقام فلان أو قبر فلان لآتانا العدو أو نحو ذلك هذا شرك أكبر لأنه إلى سبب غير ظاهر، ولا متعقل، ولا مدرك، ولا يصلح أن يكون سببا إطلاقا فهذا والعياذ بالله شرك أكبر

(٢) - الحال الثانية: أن نضيفه إلى سبب ظاهر لكن لم يثبت كونه سبب لا حسا ولا شرعا أن يضيفه إلى سبب ظاهر ليس خفي لكن لم يثبت كونه سببا لا حسا ولا شرعا، مثل قول من قال مطرنا بنوء كذا فأضافه إلى النوء ومثل من يعلق القلائد على رقاب البهائم أو الصبيان دفعا للعين فقد أضافه إلى سبب ظاهر لكن هذا السبب منزوع السببية لن يجعله الله سببا لا بالشرع ولا بالحس فهذا شرك أصغر.

(٣) - الحال الثالثة: أن يضيفه إلى سببا حقيقي إما شرعي، وإما حسي هذا جائز لكن لا بد من شرطين هذا جائز لكن لا بد من شرطين:-

- الشرط الأول: إلا يعتقد أن السبب مؤثر بذاته وطبعه

- الشرط الثاني: ألا يتناسى المنعم وهو الله - سبحانه وتعالى - نضرب لذلك مثلا استعمال العسل للتداوي من

مرض فشفاه الله تعالى وقد علم أن النبي ﷺ ذكر العسل بل أن الله تعالى ذكر العسل من أسباب الشفاء فقال: (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) وكذا قال النبي ﷺ (لا أجد فيما تتداوون فيه إلا في ثلاث

، وقال (شربة من غسل)، فقال لولا العسل و إلا ما شفي هذا المرض، فقد أحاله إلى سبب ظاهر جعله الله سببا حسيا فهذا لا نقول لا بأس لكن بشرط ألا تعتقد أن هذا الدواء أي العسل مؤثر بنفسه وألا تتناسى المنعم الذي أودعه هذه الخاصة

◆ ثم قال وقال أبو العباس بعد حديث زيد ابن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) الحديث قد تقدم

أين تقدم هذا الحديث معنا؟ باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء مر بنا هذا الحديث قال، وهذا كثير في الكتاب والسنة يزم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به يعني أن:

أبا العباس: وهو شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهذه كنيته وإن لم يكن له ولد اسمه العباس علق على حديث زيد ابن خالد بأن هذا النهى من النبي ﷺ كثير في الكتاب والسنة وأن الله تعالى يذم من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به فهذا لون من الشرك

ثم قال بعض السلف هو كقولهم: (كانت الريح طيبة والملاح حاذقا) الملاح هو ربان السفينة قائد السفينة، ونحو ذلك ممن هو جار على السنة كثير

نعم أراد الشيخ - رحمه الله - أن يبين أن مثل هذه التعبيرات فاشية في كلام الناس سارية وجارية على ألسنتهم لا يفتنون لها فهذا أيضا شبيهه بقولهم مطرنا بنوء كذا وكذا، والذي ينبغي للمؤمن اليقظ النبيه الذي يتحرك في قلبه حس الإيمان ألا تدرج هذه الكلمات على لسانه بدون رقيب بل يقيدها بالقيود الإيمانية التي يعترف فيها بالفضل لله رب العالمين.

◆ فنستفيد من هذا فوائد منها:

- وجوب إسناد النعم إلى الله تعالى

- ونستفيد أيضا الحذر من التساهل في الألفاظ

- ونستفيد أيضا إن مثل هذا الكلام يعد إنكارا للنعمة

◆ ونستمع إلى المسائل ففيها مزيد فائدة

[قراءة المتن]

فيه مسائل

- الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها

[الشرح]: نعم معرفة النعمة بالإقرار بالقلب بها، وإنكارها يكون بجحدها باللسان وعدم إضافتها إلى المنعم

سبحانه

[قراءة المتن]

- الثانية: معرفة أن هذا جار على السنة كثيرة

[الشرح]: صحيح وقد علمنا هذا لكثرة هذه التعبيرات كأن يقول هذا مالي ورثته عن أبيي لولا فلان كانت

الريح طيبة والملاح حاذقا وهكذا مما يجري على السنة الناس كثيرا حينما يفسرون بعض الظاهرات ويحكون بعض القصص نعم

[قراءة المتن]

- الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارا للنعم

[الشرح]: نعم تسميته إنكارا للنعمة لأن الله تعالى أو لأن النبي ﷺ أخبر عن ربه بأنه قال أصبح من عبادي

مؤمن بي وكافر حينما نسبوا المطر إلى نوء كذا وكذا

[قراءة المتن]

- الرابعة: اجتماع الضدين في القلب

[الشرح]: نعم اجتماع الضدين في القلب يعني الإقرار والإنكار، وهذا قد وقع من المشركين فهم مقرون

بالنعمة ومنكرونها من وجه آخر فقد يجتمع هذان الضدان

ثم قال: [قراءة المتن]

باب

قول الله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)

قال ابن عباس في الآية: (الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول لولا كلبية هذا لآتانا اللصوص ولولا البط في الدار لآتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم

وعن عمر ابن الخطاب رضي الله أن رسول الله ﷺ قال (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم

وقال ابن مسعود: (لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا)

وعن حذيفة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داود بسند صحيح

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه مكره (أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول بالله ثم بك قال ويقول لولا الله ثم فلان ولا تقولوا لولا الله وفلان)

[الشرح]

◆ نعم هذا الباب والذي قبله والذي بعده كلهم تتعلق بالألفاظ

وذلك أن من كمال التوحيد مراعاة الألفاظ، ومن صور الشرك الأصغر الألفاظ التي لا تتضمن إسناد المشيئة والفعل إلى الله - سبحانه وتعالى - فهذه الأبواب أبواب متقاربة مناسبة للكتاب التوحيد لكونها تتعلق بكمال التوحيد

فقال المصنف - رحمه الله -:

◆ باب قول الله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا)

أندادا: أي عدلاء نظراء أمثال أشباه جمع ند (فلا تجعلوا لله أندادا)

(وأنتم تعلمون): يعني وانتم تعلمون أن الله واحد سبحانه لا مثيل له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله

سبحانه وبحمده

قال ابن عباس في الآية: (الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن

تقول إلى آخر كلامه: مراده بقوله اتخذ الأنداد هو الشرك فليس مراد الأنداد هو الشرك المراد اتخذ الأنداد المنهي عنه في الآية المراد به الشرك وهو الشرك الخفي الشرك الخفي يعني أنه شرك خفي غير ظاهر لا يتنبه له ولا يؤبه له

أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل: إذا الخفاء ها هنا يتعلق بالصوت والصورة أليس

كذلك تأملوا هذا الخفاء الذي مثل له ابن عباس في هذا المثل النملة تكون سوداء وتدب على صفاة سوداء، والصفاء ملساء فديبها يكون بالغ الخفاء لأنها ملساء ثم ماذا في ظلمة الليل فاجتمع خفاء الصورة وخفاء الصوت خفاء الصورة لكون النملة سوداء، والصفاء سوداء وفي ليل بهيم والصوت في لكون هذا الدبيب دبيب خفي فاجتمع خفاء الصوت وخفاء الصورة فالشرك أخفى من ذلك فما أعظم خفائه إذا أخفى من المثل الذي ذكر ابن عباس، قال:

وهو أن تقول: أراد بذلك التمثيل لا الحصر

والله وحياتك يا فلانة إذا ما المحذور في هذا أنه حلف وعطف بالواو لتقتضي التسوية قال والله وحياتك يا

فلانة يعني حلف بحياتها وعطفها على الحلف بالله - عز وجل - بالواو التي تقتضي التسوية، مثال آخر

وحياتي: أن يحلف بحياته هذا حلف بغير الله والحلف يتضمن تعظيم المحلوف به والتعظيم والتوثيق أمر معظم

لا يجوز إلا أن يكون لله رب العالمين لا يكون بحياة الإنسان ولا بحياة غيره، قال:

"وتقول لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص" كلبية تصغير كلبة لما ما التي فعلته الكلبية أنه لما دخل اللصوص

نبحت ففر اللصوص فصار يحيل على كلبية فلان قال لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص،

ولولا البط في الدار لأتني اللصوص: لما لأن البط إذا دخل داخل صدر منها ضجيج ونحو ذلك فاتبه أهل

الدار ففر اللصوص فقد أحال في الصورتين تارة إلى كلبية وتارة إلى البط،

"وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت": ما المحذور هنا أنه سوى في المشيئة جعل مشيئة المخاطب كمشيئة

الله - عز وجل - بأن عطفها بالواو ولم يقل ما شاء الله ثم شئت، مثال آخر

"وقول الرجل لولا الله وفلان" فسوي بين فلان وبين الله - عز وجل - بالواو لا تجعل فيها فلان يعني قل

لولا الله وحسب

هذا كله به شرك يعني به بالله: - عز وجل - شرك لكن أي نوع من الشرك؟ شرك خفي وليس الشرك الخفي

قسما للشرك الأكبر والشرك الأصغر فالشرك نوعان أكبر وأصغر لكن بعضه يكون خفي لا ينتبه له يجري على اللسان دون قصد ويكون في القلب معنا قد لا يدل عليه اللفظ بالضرورة فلذلك سمي الشرك الخفي وهو غالبا ما يكون متعلقا بالألفاظ

هذا الأثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - رواه: ابن أبي حاتم وإسناده حسن

فنستفيد من هذه الآية وما فسر به ابن عباس - رضي الله عنهما -:-

- الحذر من الشرك في العبادة فلا تجعلوا لله أندادا فيجب الحذر من الشرك بالله في العبادة

- أيضا نستفيد أن المشركين مقرون بربوبية الله أين ذلك (وأنتم تعلمون)

- نستفيد كذلك أن من الشرك ما يكون شديد الخفاء ويكثر في الألفاظ والعبارات

- ونستفيد أيضا وجوب التوقي من الألفاظ الشركية المشعرة بالشرك بالله تعالى وان لم يقصدها صاحبها

◆ ثم قال وعن عمر ابن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي

وحسنه وصححه الحاكم:

وعن رواه أيضا أبو داود والبيهقي وإسناده صحيح بحمد الله

يقول النبي ﷺ في جملة شرطية:

(من حلف): الحلف هو اليمين وهو تأكيد الحكم أو الخبر بذكر معظم على وجه مخصوص ما ذلك الوجه

المخصوص بأن يكون مقرونا بأحد حروف القسم الثلاث الواو والباء والتاء كأن يقول والله أو بالله أو تالله هذا هو

الوجه المخصوص إذا تعريف اليمين الحلف تأكيد الحكم أو تأكيد الخبر بذكر معظم على وجه مخصوص، ومن

المعلوم أنه لا يجوز الحلف بغير الله كما دل هذا الحديث

طيب قوله: (من حلف بغير الله) من غير الله؟ أي مخلوق سواء كان ذلك شيء حسياً أو اعتبارياً حسياً كما لو حلف بالسما أو بالأرض والجبال أو بأبيه، ومعنويًا كما لو حلف بالأمانة مثلاً أو بالشرف بعض الناس يقول بشر في أمانتي هكذا فلا يجوز فكل من سوى الله - عز وجل - فهو مخلوق ومن حلف به فقد حلف بغير الله ما جواب الشرط؟:

(فقد كفر أو أشرك) هذا الشك من الراوي إذا كان هذا على سبيل الشك لأنه لا يمكن أن يكون النبي ﷺ أن يقول أو للتنوع يعني يكون قد كفر من وجه أو أشرك من وجه آخر، والمراد بالكفر أو الشرك هنا الكفر الأصغر أو الشرك الأصغر والأقرب أي اللفظين أولى أن يكون ذلك فقد كفر أو أن يقول فقد أشرك، أشرك لأنه قال (من حلف بغير الله) فهذا هنا قد أشرك مع الله في التعظيم فالأقرب إذا كان هذا شك من الراوي أن يكون الصواب أشرك وعلى كل حال المعنى متقارب

◆ فالحديث حديث عمر - رضي الله عنه - مناسب للباب

لأن مثل هذه الألفاظ من اتخاذ الأنداد مع الله فهو مناسب للترجمة ((فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون))

◆ نستفيد من هذا الحديث:-

- تحريم الحلف بغير الله وأنه شرك أو كفر بالله، طيب نحن قد قلنا بأنه شرك أصغر أو كفر أصغر لكن ننبه على أنه وإن كان هذا يبعد أنه لو حلف به معتقداً أن هذا المحلوف به مستحق للعظمة المطلقة فهو شرك أكبر بلا ريب لو حلف مثلاً بالسماوات والأرض والجبال أو بأبيه أو جده معظماً إياهم التعظيم الذي لا ينبغي إلا لله - عز وجل - فلا شك أن هذا شرك أكبر مخرج عن الملة لكن الغالب مما يقع من الناس أنهم لا يبلغون به هذا المبلغ

- نستفيد أيضاً أن التعظيم مستحق لله - عز وجل - حقه سبحانه التعظيم المطلق لله - سبحانه وتعالى -

- نستفيد فائدة فقهية وهو أن من حلف بغير الله لا تلزمه الكفارة لأنه لو كان ها هنا كفارة لذكرها النبي ﷺ فلم يذكر كفارة فدل ذلك على أنه لا كفارة فيه طيب قد يورد علينا أحد أراد وأن يقول ألم يثبت أن النبي ﷺ قال في حديث أفلح وأبيه إن صدق بلى قد ثبت ذلك في الصحيح أنه قال للرجل الذي قال (والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال النبي ﷺ لما أدبر الرجل أفلح وأبيه إن صدق)

فقوله (وأبيه) إشكال:

أجاب العلماء عن هذا الإشكال بستة أجوبة وربما أكثر من ذلك فمما أجابوا به:

(١) أن هذه الرواية غير محفوظة ولكن هذه الرواية عند مسلم - رحمه الله - هذه الرواية الثالثة عند الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه فلا وجه لوصفها بالشذوذ،

(٢) أجيب أيضا بأنه قد وقع تصحيف والتصحيف هو يعني الخطأ في الرسم كيف ذلك قالوا (أفلح وأبيه) هي في الواقع أفلح والله لأنهم ما كانوا ينقون ما كانوا يضعون النقطة تحت الباء ونقطتين تحت الياء فرسم وأبيه مثل رسم والله قريب بعضه من بعض لا سيما مع الخط القديم

- ولكن يجاب عن هذا الاعتراض بما بأنهم كانوا يرون مشافهة ولم يقع التدوين إلا فيما بعد فلو قدرنا أنه وقع تصحيف في الكتابة فما بال الرواية الشفهية،

(٣) أجيب عن ذلك أيضا وهذا جواب الكثيرين من أن هذا ممن يجري على اللسان دون قصد

- ولكن هذا لا يحل إشكالا صحيح أن هذا يجري على اللسان من دون قصد لكن هذا لا يحل

لأن النبي ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) يعني وان لم يقصد فهذا محذور لفظي كما تقدم معنا أيضا في الأمثلة السابقة ومن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للآية،

(٤) وقيل أيضا إن هذا من خصائص النبي ﷺ إن له أن يحلف بذلك

- وهذا في الحقيقة بعيد لأن معلم الناس الخير أولى الناس بالتزامه فلا يمكن إن يكون من

خصائص النبي ﷺ ما يشعر بتعظيم غير الله هذا أيضا جواب بعيد،

(٥) وقيل أيضا جواب آخر متكلف أنها على تقدير محذوف وان معنى (أفلح وأبيه) أفلح ورب أبيه

- لكن الأصل الحذف ولا عدم الحذف؟ الأصل عدم الحذف الأصل من الكلام على وجهه،

(٦) واختار شيخنا - رحمه الله - ورجحه إن ذلك منسوخ يعني إن قول النبي ﷺ أفلح وأبيه كان فيما مضى

ثم بعد ذلك علم النبي ﷺ حرمة مثل هذه الألفاظ فقال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)

فهذا الجواب لعله إن يكون أقرب الأجوبة الستة عن هذا الإشكال

◊ ثم قال المصنف - رحمه الله - :- وقال ابن مسعود

ابن مسعود هو عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - صحابي مشهور كنيف ملء علما وهذا من فقه الآن

(لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا):

اللام ها: هنا هي لام الابتداء

لأن أحلف بالله كاذبا): يعني مراده بأن أحلف تأويل المصدر بأن وما دخلت عليه حلفه بالله كاذبا أن أحلف بالله كاذبا

أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا): واضح الحديث أن ابن مسعود يفاضل بين صورتين بين ان يحلف بالله لكن كاذب أو يحلف بغير لكن صادق أن الأولى أحب إليه

◆ هذا الأثر قد رواه: عبد الرزاق والطبراني لكن في سنده انقطاع، والهيتمي - رحمه الله - يقول رواه رواة الصحيح لكن يبقى أن الانقطاع ضعف في الإسناد ولا ريب، وعلى كل حال فإن من تأمل في هذا الحديث رأى أن فيه حكمة وهو أن الحلف بالله كاذبا قد جمع بين حسنة التوحيد وسيئة الكذب والحلف بغيره صادقا قد جمع بين حسنة الصدق وسيئة الشرك فأيهما أرجح؟ أرجح ما تضمن حسنة التوحيد فلذلك فضل - رضي الله عنه - مع انه لا يصدر منه وحاشاه - رضي الله عنه - أن يحلف بغير الله أن يحلف بالله كاذبا لكنه أراد التعليم على فرض صحة هذا الأثر

◆ فمناسبته للباب ظاهرة:

لأن فيه تحريم الحلف بغير الله لكون ذلك من اتخاذ الأنداد

◆ فنتفيد:-

- وهو تحريم الحلف بغير الله

- ونستفيد أيضا أن تعزيز قول من قال أن الشرك الأصغر أعظم من كبائر الذنوب وهذا قد مر بنا من قبل أيهما أعظم خطرا الشرك الأصغر أم كبائر الذنوب وأن من العلماء من قال الشرك الأصغر أعظم لكونه لا يغفر (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وهذا يشمل الأكبر والأصغر ومعنى قولنا لا يغفر ما هو معنى ذلك أن الشرك الأصغر يوجب التخليد في النار لا المقصود أنه لا يدخل تحت المشيئة والإرادة ليجعله الله تعالى داخلا في الموازنة بين الحسنات والسيئات فلو فنيته حسناته وبقي عليه الشرك الأصغر لا بد أن يعذب به لقوله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وهذا مكمّن الخطر

- نستفيد أيضا ما يدل على قاعدة أصولية وهي ارتكاب أخف الضررين أو أخف المفسدتين في سبيل دفع أشدهما ولا شك أن هذا من الحكمة، أين المفسدة هنا؟ الخفيفة الكذب وأين المفسدة الشديدة الشرك فارتكب الكذب دفعا للشرك

- وفيه ما يدل أيضا على فقه ابن مسعود رضي الله عنه

◆ ثم قال وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء

فلان) رواه أبو داود بسند صحيح

وعن رواه أيضا النسائي، والإمام أحمد، والبيهقي وصححه النووي - رحمه الله -، وقال الذهبي إسناده صالح فهذا بحمد الله عن حذيفة مرفوعا صحيح

(لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان): إذا ما المحذور والصيغة الأولى؟ التسوية بالعطف بالواو التي تقتضي التسوية وكيف ارتفع المحذور وساعت العبارة الثانية لما أتى بشم التي تدل على الترتيب

◆ قال وجاء عن إبراهيم النخعي (أنه يكره أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول بالله ثم بك، قال ويقول لولا الله ثم

فلان ولا تقولوا لولا الله وفلان) نعم هذا مثال آخر للمحذور اللفظي بالتسوية بالواو فإذا قال الرجل أعوذ بالله وبك فقد وقع في الشرك لأن العوذ التجاء واعتصام بالمستعاذ به فإذا قال أعوذ بالله وبك فمعنى ذلك أنه سوى بينهما في الاستعانة والاستعانة عباده لا يجوز صرفها لغير الله - عز وجل - فيما يقدر عليه إلا الله كما مر بنا في الأصول الثلاثة،

و قوله "ثم بك": يرفع هذا المحذور لأنه جعل استعاضته بالمخلوق في درجة أدنى من استعاضته بالخالق وقل مثل ذلك لولا الله ثم فلان فإن هذا جائز ولا يجوز لولا الله وفلان فهذا قد وقع فيه الشرك في اللفظ

◆ إذا هذا الحديث والأثر مناسبا للباب

لما في ذلك من أفراد الله تعالى بالتعظيم، والنهي عن تسوية غيره به

◆ فنستفيد:-

- تحريم هذا اللفظ ما شاء الله وشئت ولولا الله وفلان وأن ذلك من اتخاذ الأنداد وأعوذ بالله وبك لأن ذلك من اتخاذ الأنداد

- نستفيد أيضا أن المحذور يزول بالعطف بثم لأنها تدل على الترتيب

- ونستفيد أيضا من الحديث فائدة تتعلق باب القدر وهو أن فيها إثبات المشيئة لله وإثبات المشيئة للعبد لكن مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الخالق كما قال الله - عز وجل -: (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) ففيها رد على الجبرية وعلى القدرية، فالرد على الجبرية بإثبات مشيئة للعبد، والرد على القدرية بإثبات مشيئة الله تعالى وإحاطتها بمشيئة العبد

- وفيها فائدة تربوية تعليمية هو أن من سد بابا فليفتح غيره يعني من سد بابا من الحرام فليفتح بابا من الحلال قال الله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا) لما حرم الله الربا أحل البيع ليبقى للناس تجارتهم

◆ نعم نستمع إلى المسائل

[قراءة المتن]

فيه مسائل

- الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد

[الشرح]: وقد تبين هذا

[قراءة المتن]

- الثانية: الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر

[الشرح]: نعم الصحابة رضوان الله عليهم يستدلون بالآيات الدالة على منع الشرك الأكبر على مسائل الشرك الأصغر فإن آية (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) هذه دالة على الشرك الأكبر لكن الصحابة يعني يرون أنهم استدلوا بها حتى على الأصغر كما استدلل النبي ﷺ في قصة ذات أنواط حينما قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال الله أكبر إنها السنن، كما قال بنو إسرائيل (اجعل لنا الهة كما لهم آلهة) فأولئك أرادوا الشرك الأكبر والصحابة وقعوا في الشرك الأصغر فاستدل بهذا على هذا نعم

[قراءة المتن]

- الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك

[الشرح]: وهذا من نص حديث عمر

[قراءة المتن]

- الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس

[الشرح]: لأنه اليمين الغموس يحلف بالله لكن يقتطع بها مال امرئ مسلم ومع ذلك فالحلف بغير الله أشد

[قراءة المتن]

- الخامسة والأخيرة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ

[الشرح]: نعم الواو تقتضي التسوية، وثم تقتضي الترتيب. والله أعلم